

ترجمة النص الأدبي و التفاعل

سيد أحمد طاسيست

جامعة المدينة

ملخص

إن الترجمة، خاصة الأدبية منها، هي ذلك المجال الخصب الذي تتبادل فيه اللغات و الثقافات و الحضارات الإنسانية و تتفاعل. و يميز عملية التبادل و التفاعل هذه، عاملان أساسيان هما الأديب صاحب الأثر الأدبي و مبدعه من جهة، و المترجم الذي يضطلع بمهمة نقله إلى لغة أخرى و إلى جمهور آخر من القراء غير الذي وجد لأجله.

و لا شك في أن هذه المهمة الصعبة والتي تكاد تكون مستعصية الواقعة على عاتق المترجم لا تخلو من العوائق و المشاكل الناجمة عن خصوصية العمل الترجمي تلخصت في مدى مطابقة الترجمة للنص الأصلي التي طالما ركزت عليها الدراسات القديمة من خلال دراسة أساليب العمل الترجمي و آلياته و الانزياح الحاصل في النص المترجم .. الخ .

نحاول بواسطة هذا البحث التركيز على جانب آخر من الترجمة يتعدى مسألة امتلاك ناصيتي اللغة الأصلية و اللغة المترجم إليها ليتعلّق بضرورة اهتمام المترجم بالوقائع غير اللغوية النابعة من الخصوصيات الثقافية و الاجتماعية. كما نهتم بقدرات المترجم الإبداعية و اثر ترجمته على المتلقي، و نطرح بالإضافة إلى ذلك تصورا مغايرا لمفاهيم " الحرية " و " الذاتية " و " الأمانة " في الترجمة الأدبية.

الكلمات المفتاحية: النص الأدبي - الترجمة - البيئة الاجتماعية - الخصوصيات الثقافية - التفاعل - التلقي - الحرية - الذاتية - الأمانة

Résumé

La traduction, littéraire notamment, représente un vaste champ d'interaction entre les langues, les cultures et les civilisations, où interagissent deux éléments essentiels: l'écrivain, producteur de l'œuvre littéraire, et le traducteur dont la mission est de la réécrire dans une autre langue pour un public auquel elle n'a pas été initialement destinée.

Cette tâche ardue qui incombe au traducteur, n'est pas sans le mettre devant des problèmes et des difficultés essentiellement dus à la nature particulière de l'opération traduisante qui tend à l'identité entre version traduite et le texte source. La question de la fidélité en traduction a toujours été au centre des recherches traductologiques qui se sont intéressées à la traduction, ses procédés et ses mécanismes ainsi qu'aux écarts entre le texte source et sa traduction.

Ce travail s'intéresse à un autre aspect de la traduction qui dépasse la question de la maîtrise de la langue de départ et de la langue d'arrivée, ainsi que la question de la fidélité à la forme ou au contenu. Tout l'effort sera orienté vers la nécessité d'accorder un intérêt substantiel aux effets non linguistiques issus des particularités socioculturelles. Cette recherche s'intéresse également aux capacités créatives du traducteur ainsi qu'à son influence sur le récepteur du texte traduit. Nous essayerons de revisiter par la même occasion les concepts de "liberté", de "subjectivité" et de "fidélité" en traduction.

Mots clés: Texte littéraire – traduction – milieu social – particularités culturelles – interaction – réception – liberté – subjectivité – fidélité.

Abstract

Literary translation is a wide field of interaction between languages, cultures and civilizations, where interact two essential elements: the writer, the producer of the literary work, and the translator whose mission is to rewrite it in another language for an audience which was not meant to be designed for it at first place.

In performing this difficult task the translator faces problems and difficulties linked mainly to the specific nature of the translation activity that consist of the identity between the target and the source texts. Fidelity has been at the heart of research in translation studies which have focused on translation, its procedures and methods as well as on the differences between the meanings of the source text and its translation.

This article tackles another aspect of translation which goes beyond the issue of mastering the source and target languages, and fidelity to form or content at the same time, but the necessity for translator to concentrate on the nonlinguistic elements associated with social and cultural factors. This research also deals with the translator creative capacities and its influence on the readers of the translated text. This article also discusses concepts such as “freedom”, “subjectivity” and “fidelity” in translation.

Keywords Literary text- translation- social environment-cultural features-interaction-reception-freedom-subjectivity-fidelity.

الترجمة قديمة قدم الإنسان على وجه البسيطة. فالتاريخ يشير إلى أنها كانت وما زالت من أهم العوامل في نهضة الأمم لأنها وسيلة تمازجها، بها تقاربت آدابها وتلاقحت أفكارها فساعد ذلك على الارتقاء بالحياة الأدبية والعلمية وعلى ظهور مختلف الحضارات التي أسست لها المدارس واعتنت بالترجمة والمترجمين وأنزلتهم منزلة المقربين من الملوك والحكام. وما زال التاريخ وسيظل يذكر الأمم التي تركت بصماتها في الركب الحضاري الإنساني بما أولت لهذه العملية من أهمية إدراكا منها لألوية التواصل الذي ينبغي أن يتم بين الشعوب والأمم. فأسهمت من خلال نقل المعارف والعلوم في إنقاذ كنوز وفيرة من ثقافات الشعوب وانتشلتها من النسيان والضياع. وحافظت بذلك على التراث الإنساني والحضاري من الزوال وأسست للحوار وكانت سدا منيعا أمام مختلف أشكال التطرف والتعصب ونيز الآخر ومثلت " ذلك التوق إلى إثراء نظرتنا للعالم ونظرتنا للآخر وكانت وسيلة انتشار العلوم والمعارف والثقافات وانفتاحا على العالم وعامل تبادل وتواصل. وكانت اعترافا بتعدد الأفكار واختلاف التوجهات والتيارات في شتى المجالات"¹. (Idjer Yacine, 200 Liberté) كما تذكرنا الترجمة بأن الأخر ليس الشبيه بل المختلف الذي يقاسمنا الحياة، هو المختلف لغة وثقافة وقيما وسلوكا.

و الترجمة لغة وفق ما ورد في القواميس جاءت من كلمة "ترجم". و"يقال ترجم كلامه أي فسر بلسان آخر، فهو الترجمان أي المفسر وجمعه ترجمة و تراجم. ويقال ترجمه أي نقله إلى لسان آخر وترجم عنه أي أوضح أمره" (لسان العرب . حرف الميم: 66). و الترجمة اصطلاحا تعني التفسير والتعبير عن المعنى بلغة أو إشارات أو رموز أو حركات أخرى. كما تعرّف القواميس العربية الحديثة الترجمة بأنها نقل كلام من لغة إلى أخرى. أما قاموس "Le Robert" فيعرف الترجمة بما معناه "نقل كلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة التكافؤ في الدلالة والتعبير"² (Le

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[La traduction est le désir d'élargir et d'enrichir la vision du monde et celle que l'un a sur l'autre; elle est la transmission d'un savoir et d'une culture ; elle est une ouverture sur le monde extérieur, elle est un acte d'échange et de communication ; elle signifie l'existence de la pluralité des idées et des tendances dans divers domaines...]

² ورد النص بالفرنسية كالآتي :

(Petit Robert, 1992). و مفاد هذا القول إن الترجمة في معناها المتخصص تعني النقل من نظام لغوي لآخر بأقصى قدر من الأمانة.

أما الترجمة الأدبية فتعني عامة ترجمة المبدعات التي مادتها الكلام. وهي في هذا المجال لا تستوفي شرط التكافؤ في الدلالة والتعبير فحسب بل لها كذلك علاقة بالأدب من جهة وبالثقافة والحضارة من جهة أخرى ضمن "جدلية علاقة الذات بالغير"¹ (Israel Fortunato, 1991 : 17). فهي جسر يمتد بين الأنا والآخر وضرورة حضارية من شأنها أن تضمن التواصل والحوار بين المجتمعات بما تحمل من موروثات و خصوصيات لغوية وثقافية وحضارية. فمنذ أن بدأ وعينا بالعالم المحيط بنا يتشكل ، ومنذ أن بدأنا في بناء رصيدنا المعرفي لبنة لبنة، شاركت الترجمة بشكل أو بآخر في تكوين شخصيتنا وكانت رافدا سخيا من روافد ثقافتنا، إذ مكنتنا من اكتشاف روائع الأدب العالمي مترجمة إلى اللغة العربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أعمال شيكسبير ودانتي وروائع الأدب الفرنسي والروسي والأمريكي وغيرها. فقد كانت الترجمة حقا ذلك الوسيط اللغوي والثقافي الذي يذكرنا دوما بوجود الآخر المختلف عنا لغويا وثقافيا واجتماعيا ودينيا وتاريخيا، كما جعلتنا أكثر قبولا لذلك الآخر بجميع اختلافاته فاكتست بذلك بعدا إنسانيا يتمثل في مد جسور التواصل بين البشر بعيدا عن اعتبارات العرق واللغة والجنس والموطن الضيقة.

و من خلال تطرقنا إلى الترجمة الأدبية نخص بالذكر ترجمة النصوص الروائية دون سواها من النصوص الأدبية لأن الكتابة الروائية غالبا ما لا تكون طيبة، ليس من السهل ترجمتها لما تطرحه من صعوبات وإشكالات باعتراف من اختص في الترجمة الأدبية. و ترجمة النصوص الروائية على وجه الخصوص تكون أصعب من ترجمة غيرها من النصوص لأنها تخضع لعدة اعتبارات تتعلق بطبيعة النص الروائي. فالرواية هي حصيلة أجناس أدبية متعددة أي هي جنس جامع تتعايش فيه أجناس مختلفة. والعمل الأدبي ليس فكرة فحسب ولا خبرا محمولا بل تجربة إنسانية تحمل

[Traduire consiste à faire que, ce qui était énoncé dans une langue, le soit dans une autre en tendant à l'équivalence sémantique et expressive de deux énoncés]

¹ « Dialectique du même et de l'autre » ورد النص بالفرنسية كالآتي :

أحاسيس الأديب وتصوراته المختلفة ورؤيته الخاصة للعالم وإدراكه الخاص للواقع الذي يريد تصويره. و صعوبة ترجمة النصوص الأدبية نابعة أيضا من خصوصية البيئة الحضارية و الثقافية التي أنجزت فيها و من طبيعتها اللغوية و كذا طبيعة اللغة المنقول إليها و بيئتها الحضارية و الثقافية. و خصوصيتها ناشئة كذلك من خيارات المترجم الحاسمة أثناء نقل الأثر الأدبي، وهي في الأخير متوقفة على القارئ المتلقي لتلك الترجمة و ما ينتظره و يتوقعه منها و مدى تفاعله معها بعد قراءتها.

و عليه فعند ترجمتنا النصوص الأدبية " لا نترجم الكلمات و لا الجمل و لا الفقرات بل أثرا كاملا بكل ما يترتب عن ذلك من بنية النص الداخلية و وحدته و أثره على القارئ"¹ (srael Fortunato, 1991 : 37) خلافا للنصوص العلمية و التقنية و القانونية و الإدارية و غيرها من النصوص غير الأدبية. و الفرق هنا واضح و جلي، فالنصوص العلمية و التقنية مثلا هي نصوص تغطي عليها الصبغة الموضوعية، التحليلية أو الوصفية، و لا تترك لذاتية مؤلفها أو كاتبها مجالا للظهور و التفاعل. فتتمحور ذاتية المؤلف و تغيب تماما تاركة المجال واسعا أمام الغاية أو الهدف المراد تحقيقه كإصال معلومات أو تفسير أو إقناع أو حمل المتلقي على شراء منتج ما. في مثل هذه النصوص تعطى الأولوية لدراسة الظاهرة العلمية و وصفها و إلى المناهج و المقاربات و الخطط العلمية المتبعة في ذلك. و مرد هذا الاختلاف أن العمل الروائي مغاير تماما للعمل العلمي أو التقني، فهو عمل إبداعي و فكري مفعم بالذاتية يعبر عن تجارب الأديب الشخصية و عن رؤيته لما يحيط به و عن تجربته المتميزة في ممارسته للكتابة نفسها فكيف يتصرف المترجم إزاء نص أجنبي يحمل بصمات كاتبه و لغته الأم و مجتمعه و ثقافته و بيئته الحضارية التي أنجز فيها ؟ هل يجب أن يترجم ترجمة حرفية أو ترجمة أدبية يراعي فيها التكافؤ بين الوظيفة و الدلالة ؟ و بعبارة أخرى ماذا يجب أن ينقل الشكل أم المضمون ؟ لكن ألا يكمن الرهان من خلال الترجمة الأدبية على نقل المضمون دون إهمال الشكل؟

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[on ne traduit ni des mots, ni des phrases, ni des paragraphes, mais une œuvre avec tout ce que cela suppose : cohérence de l'organisation interne, homogénéité, impact sur le lecteur.]

لقد كان الجدل قائما و مازال بين منطري و ممارسي الترجمة حول عدة مفاهيم أهمها " الترجمة الحرفية" و " الأمانة" أو " الوفاء" و " الترجمة الحرة". و المفهوم الأول يعني ترجمة النص عبارة بعبارة مع احترام قواعد اللغة المنقول إليها. أما المفهوم الثاني فيعني للبعث الوفاء للوظيفة التعبيرية للنص الأصلي و يعني للبعث الآخر الأمانة في توصيل مقاصد الكاتب أو دلالة النص. أما المفهوم الأخير فيراد به " عدم الخضوع لأي قيد أو شرط"¹ أثناء الترجمة (: Monique Cormier, 1991 83). لقد كان هذا الجدل القائم بين القائلين بالنقل من نظام لغوي إلى آخر أو التقابل في الشكل و بين القائلين بالترجمة الحرة أو الترجمة التي تنقل حركية النص الأصلي أهم محرك للأبحاث في مجال الترجمة. ولعل مفهوم "الأمانة" أو " الوفاء" في الترجمة قد طرأ عليه بعض التغيير في ظل النظريات الحديثة كنظرية "النسق المتعدد"² théorie du polysystème أو المقاربة التواصلية de la traduction l'approche communicationnelle التي تحررت من نمطية الدراسات اللسانية و اعتبرت أن الترجمة لا تنحصر في الأطر اللغوية فحسب بل تتعداها إلى النظم و الأنساق الاجتماعية و الثقافية و الحضارية و الدينية التي تؤطر حياة الأفراد و المجتمعات و التي طالما شكلت عوامل تجاذب أو حتى تنافر ما بين المجموعات البشرية عبر تاريخ الإنسانية. كما فتحت المجال واسعا أمام الدراسات الترجمة للبحث في كيفية تفاعل الأثر الأدبي المترجم مع البيئة الثقافية و الأدبية المستقبلية من خلال التأثير فيها و التأثير بها.

تقتضي الترجمة عموما و الأدبية منها على وجه الخصوص تعاملًا خاصا مع اللغة. و اللغة نظام تواصل مشترك بين أفراد المجتمع الواحد يميزه عن باقي المجتمعات، فهي ليست " جداول كلمات تقابل حقائق هي نفسها دائما و موجودة سلفا و لو كان الأمر كذلك لسهلت الترجمة و لأصبح بمقدورنا أن نترجم ترجمة حرفية و كلمة بكلمة." (جورج موان، تر لطيف زيتوني 1994) و منه فإن كل لغة تختلف عن الأخرى "بقدر يجعلها تفرض بني مختلفة للتعبير عن نفس الفكرة"³

¹ورد النص بالفرنسية كالآتي : [État de celui qui ne subit pas de contraintes]
² يترجمها سعد عبد العزيز مصلوح ب: نظرية النسق المتعدد في ترجمته لكتاب إدوين غنتسلر (Edwin Gentzler) " في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة" الصادر عن المنظمة العربية للترجمة.

³ورد النص بالفرنسية كالآتي :

(Jean 89 : 1970, Darbelnet, Meta). لذا يستحيل أن يتطابق نظام لغوي ما مع الأنظمة اللغوية المؤلفة للألسن المجتمعات البشرية مهما تقاربت من حيث الخلفيات الثقافية والاجتماعية و من حيث مجازاتها واستعمالاتها اللغوية وأخيلتها و تصوراتها وإنما قد يتحقق جزء منه فقط. إن إمكانية وجود مقابلات ألفاظ وكلمات لغة في لغة أخرى تبقى محدودة جدا ودليلا في ذلك تلك الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى فلا يحل أحد معانيها محل الآخر. فما عسانا أن نقول إذا تعلق الأمر بلغتين بعيدتين كل البعد عن بعضهما البعض كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغتين العربية و الفرنسية؟ ومنه فإن الترجمة الحرفية , كما قال داربلي " ليست طبيعة بما فيه الكفاية كي تميظ اللثام عما وراء الكلمات." (Jean DARBELNET, op. cit : 91) و ترجمتنا للنص حرفيا دون إدراك المقاصد المراد تبليغها يعرضنا إلى خيانة فحوى النص من خلال النقل الخاطئ لها و يعرض اللغة المنقول إليها إلى التشويه بما نفرضه عليها من بنى دخيلة. فأعمال رشيد بوجدره الروائية مثلا، و ترجماتها إلى اللغة العربية التي قام بها الروائي نفسه أو اضطلع بها ثلة من خيرة المترجمين أمثال الجيلالي خلاص و أنطوان موصلي و إنعام بيوض و المرحوم صالح القرماذي ، تقابل بين " لغتين مختلفتين كل الاختلاف، لا شيء يجمع بينهما كل لغة تخضع إلى نظام لغوي وجمالي يميزها عن الأخرى، لكل منهما نظام خاص تنبني عليه علاقة الكلمة بالشيء الذي تعبر عنه ، بين الدال والمدلول" (Adonis, 2) (Actes Sud 1987 : 60). ومنه فإن إدراك تلك الاختلافات و الخصوصيات القائمة بين اللغتين يتيح للمترجم ذلك الوسيط الذي من خلاله تنتقل النصوص من

[(les langues) Diffèrent suffisamment pour imposer des structures différentes à l'expression d'une même idée]

¹ورد النص بالفرنسية كالآتي :

(la traduction littérale) [est trop rigide pour tenir compte de ce qui se cache derrière les mots]

²ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[... deux langues de familles radicalement différentes comme l'arabe et le français ; il n'ya rien de commun entre les deux langues. Chacune obéit à un système linguistique et esthétique différent. A chacune son ordre distinct de relation entre le mot et la chose, le signifiant et le signifié)

لغة إلى أخرى سهلة "التمثل" الذي يخول له فيما بعد صياغة النص في اللغة المنقول إليها بأقل قدر ممكن من التوضيحات. و ما في تعدد المترجمين لأعمال الروائي الواحد إلا دليل على تعدد الرؤى و اختلاف القراءات و التصورات. و هي مسائل تختص بها الترجمة الأدبية عن ترجمة النصوص العلمية والتقنية وغيرها.

إن كانت الترجمة الأدبية تتسم بكل تلك الخصوصية و التفرد، فلا بد أن تتوفر في المترجم بعض الميزات التي تميزه عن باقي المترجمين. فعليه أن يكون عارفاً بآليات نشاط اللغة المنقولة و المنقول إليها و كيفية إنتاجهما للمعنى و سبل توصيلهما للمقاصد عبر اللفظ و العبارة و الإشارة و الرمز وغيرها من أدوات الدلالة و التبليغ. و عليه أن يكون عارفاً و متمكناً من العدة اللسانية التي تسمح له بخوض عوالم الترجمة لغة و صرفاً وتركيباً و اشتقاقاً ومعاني و بديعاً ما دامت محطّ النظر في بنية النص و اشتغاله الدلالي كي لا تكون الترجمة عشوائية و ضرباً من ضروب الارتجال. و بالإضافة إلى ذلك فإن النص الأدبي لا يجعل من الشكل مجرد ناقل للفكرة أو وعاء للمضمون بل ثمنه و حمّله من الدلالات ما جعله يقوم مقاماً لا غنى عنه في عملية تمثل مقاصد الأثر الأدبي إلى درجة أن الشكل "يكون بنفس أهمية القول أو يتجاوزه"¹ (Israël Fortunato, 1991 : 19) و منه فإن إغفال الشكل خلال عملية الترجمة يعني إنكار ذلك النص الفريد و المتميز الذي يجعل من كاتب ذائع الصيت و من آخر مغمور، رغم كتابتهما بنفس اللغة و انتمائهما إلى نفس التيار الأدبي أو الفكري و نفس الحقبة الزمنية. و لعل رشيد بوجدرّة القارئ، يدعم الفكرة بقوله "أما فيما يتعلق بتقنيات الكتابة فالشكل يسحرني على وجه الخصوص. عندما أطلع رواية ما، فإن الحكاية لا تشدني رغم أنني أحب الحكايات كثيراً لكنني أفضّل أن أستمع إليها و لا أحب أن أجد حكايات بين صفحات الكتب"² (Boudjedra , Rachid , LE MATIN 2003)

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

La forme(le dire) compte autant sinon plus que le dit "

² ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[En ce qui concerne la technique, je suis particulièrement fasciné par la forme. Quand je lis un roman, l'histoire m'intéresse peu finalement, bien que j'aime beaucoup les histoires mais je préfère les écouter, et je n'aime pas trouver des histoires dans les livres]

غير أن الترجمة ليست اشتغالا على اللغة فقط بل هي أيضا عمل إبداعي و فكري و عملية أدبية و ثقافية حضارية. ففيها إحياء و إثراء للغة المنقول إليها و فيها أيضا إثراء أدبي بفضل دخول النص المترجم في تفاعل مع النص الأصلي و مع البيئة الأدبية المستقبلية و لا يمكن اعتبارها عملية إبدال لكلمة أو عبارة بمقابلتها من اللغة المنقولة إلى اللغة المنقول إليها، بل هي إبداع جديد لأن التمكن من ضروب اللغة لا يعني بالضرورة الإلمام بما تحمله من أبعاد معرفية و ملابسات ثقافية و زخم حضاري إذ يقول إدوارد ساپير Edward Sapir : " إن اللغة وسيلة الأدب مثلما أن الرخام أو البرونز أو الطين هي مواد النحات. و ما دامت لكل لغة خصائصها المتميزة فإن التحديات الشكلية و الضمنية و الإمكانيات أيضا لأدب معين لا تتماثل أبدا مع تحديات و إمكانيات أدب آخر"¹ (إدوارد ساپير تر سعيد الغانمي، 1993 ، ص 30) . إلا أن للمادة في الأدب "إكراهات" قد تعدل في الهيئة و تتدخل بشكل أو بآخر في صورتها النهائية فطبيعة المواد التي يتعامل معها النحات و الفنان هي مواد تفتقد إلى البعد الزمني فلا ترتبط بماض و ليس لها في ذاتها بعدا حضاريا و لا مرجعية تختزن دلالة ما. فالحجر و الطين و البرونز وغيرها من المواد كل منها خال من السابقة الدلالية فلا يخشى الفنان أن يتسرب إلى عمله شيء يشوش على المقصد الذي يريده. أما المادة الأدبية فيعود امتدادها إلى ماض مشبع بالدلالات و الاستعمالات التي تراكمت فيها المقاصد حسب القيم التعبيرية السائدة في كل حين لأن للغة مرجعيتها التاريخية و الثقافية و الحضارية التي تعبر عن تجربة المجموعات البشرية الناطقة بها. و منه فإن تقديم الشكل على المضمون ينتج ترجمات لصيقة بالنص الأصلي تابعة له أي ترجمات تكون في الحقيقة أقرب إلى النسخة الرديئة منها إلى الترجمة الجيدة. و بذلك تصبح الترجمة شكلا من أشكال الخيانة لأنها تجتث روح النص و تغلق كل أبواب الإبداع و البحث في جمالية النص أمام المترجم.

و من هذا المنطلق يراعي المترجم خلال عمله الترجمي أوجه النص الثقافية و الحضارية . فهو لا يركز كل التركيز على الشكل رغم أهميته لأن الغرض من الترجمة في نهاية الأمر ليس إنتاج نص بغية مقارنته بالنص الأصلي مقارنة مباشرة، و لأن الكاتب أو الروائي حمل نصه موروثات ثقافية و اجتماعية و حضارية هي بمثابة حصيلة تجربة بشرية خاصة، لا يجوز معها حصر الفعل الترجمي في الترجمة الحرفية،

إذ " لا يكفي كي نترجم أن نعرف الكلمات بل علينا أن نعرف الأشياء التي يعبر عنها النص موضوع الترجمة"¹ (Georges Mounin, 1976 : 44).

و ترجمة الأعمال الأدبية تعني أولا القدرة على تحديد موقع الأشياء التي يعبر عنها في أطرها الثقافية و الزمنية و تحديد منزلتها فيما عاشه الأديب أو الروائي من أحداث و وقائع في حياته اليومية، و تعني أيضا الاعتراف بأن نصوصه متجذرة في واقع المجتمع الذي ينتهي إليه و بيئته، و أخيرا الإلمام بخصوصياته الأسلوبية و ما تمثله الكتابة بالنسبة إليه. و أي عمل ترجمي لا يأخذ بعين الاعتبار تلك الخصوصيات التي تميزه عن غيره من الأدباء و الروائيين، قد يؤدي إلى تشويه المعنى العام و تحريفه. لأن " النص الأدبي بما ينطوي عليه من مضامين و ما يحمله من شحنات تعبيرية مفعم بالحيوية و الحركية متعدد الأوجه و مضامينه صعبة الحصر و المنال. هو نص يغمره الغموض لأنه يتكون من شبكات معان متداخلة و معقدة تمكننا من تعدد القراءات... كلماته سهلة كتلك التي نتداولها يوميا لكنها مفعمة بالأحاسيس و مشبعة بالقيم الثقافية التي تجعلها تضطلع بمهام رمزية و مجازية تتفاعل فيما بينها"² (Israel Fortunato, op. cit : 26).

الترجمة و التلقي:

لا قيام للغة في الأثر الأدبي دون الدلالة التعبيرية. فالتعبير بعد من أبعاد النص الأدبي و مراده، لأن الأديب الذي ينتج نصا يدرك أنه يعمل من أجل متلق يؤول الأثر. و إذا كان التعبير من جهة الأثرية قصدية فالمعنى هو تولد لقاء الأثر بالمتلقي عبر فاعلية التأويل. و عليه يمكن القول إن للرواية نصين : نص يرد كما تصوره الكاتب و أراد له أن يكون و نص ثان ناتج عن قراءة المتلقي و تأويله له.

¹ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Pour traduire, il ne suffit pas de connaître les mots, il faut connaître les choses dont parle le texte à traduire]

²ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Le texte littéraire est, tant par son contenu que par son expressivité, un organisme vivant, dynamique, évolutif dont le sens est inépuisable et difficile d'accès. Il est par nature ambigu car constitué de réseaux de signification complexes une pluralité de lectures. Les mots qui en apparence sont ceux de tous les jours, mais qui, chargés de valeurs culturelles et affectives, assument volontiers une fonction symbolique, métaphorique et s'appellent, se répondent, s'organisent en réseaux]

و القراءة الأدبية ليست تلك القراءة التي نعني بها " إلقاء النظر إلى نص لمعرفة ما فيه" (المنجد) وليست تلك العملية الآلية الرامية إلى " التعرف على أحرف أو كتابات أو مخطوطات في لغة ما و تلفظ الأصوات التي تمثلها منفردة أو مجتمعة"¹ (Petit Larousse en couleurs, 1988), بل هي فهم الرسالة التي يحملها النص. والقدرة على القراءة لا تعني القدرة على الفهم و الكتابة فما بالك بالقدرة على الترجمة لأنها منوطة بفهمنا للنص وتمعنا في معانيه بالدرجة الأولى، فعلينا أن نفهم كي نترجم لا أن نترجم كي نفهم. وهذا ما لا يمكن أن توفره لنا قراءة أولى وإن تمت بانتباه واهتمام كبيرين. فالمترجم الذي يقرأ النص في لغة ما ثم يعيد صياغته في لغة أخرى يحول النشاط الترجمي إلى عملية تمر بمراحل ثلاث : القراءة و التأويل ثم إعادة الصياغة أو الكتابة.

إن المترجم قارئ أول الأمر، ثم مبدع في ترجمته ناقل لما فهمه من النص الأصلي. لكن النص الأدبي ليس معطى بسيطاً وإنما هو ككلٌ شديد التعقيد يتفاعل فيه طرفان في إطار علاقة تتحدد معطياتها بعيداً عن النص المكتوب في مسافة بين المبدع والمتلقي، في إطار من الزمان و المكان ذلك أن النص لا ينشط بنفس الطريقة حين ينتقل من أنساق جغرافية و سياسية و إيديولوجية مختلفة عن أنساقه الأصلية و لا ينتج نفس القراءات حين يقرأه و يؤوله أشخاص مختلفون من حيث اللغة و العمر و الانتماء الاجتماعي و الثقافي.

غير أن المترجم ما هو، في حقيقة الأمر إلا قارئ ككل القراء مهما تطورت لديه ملكتا القراءة و الفهم، و قراءته للنص تبقى " تأويلاً مغرقاً في الذاتية يؤثر بدوره و بصفة جلية و واضحة على جمهور القراء فيما بعد"² (Israel Fortunato, 18 : op.cit). و النص المترجم و هو يغير بيئته و جمهوره و لغته و سياقه، لا يتوقف تأثيره على المتلقي عند بعض الألفاظ أو العبارات التي قد تتغير من حيث الدلالة عن دلالاتها الموجودة في النص الأصلي، لتصبح الترجمة عملية "نقل نص من ثقافة إلى

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[reconnaître les signes graphiques d'une langue , former mentalement ou à voix haute les sons que ses signes ou leurs combinaisons représentent]

² ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Un acte d'interprétation hautement subjectif qui conditionne, à son tour , dans une très large mesure, la perception ultérieure de l'œuvre par le public]

أخرى و من نظام لغوي إلى آخرون منظومة أدبية إلى أخرى، أي إدخال نص في سياق غير سياقه" (غسان السيد، مجلة جامعة دمشق، 2007: 64). لذا لا يمكن تناول الأثر الأدبي بالترجمة بعيدا عن فعل التلقي. فعلى المترجم أن يكون قادرا على فك رموز النص الأصلي وتصور الطريقة المثلى لإعادة صياغته في اللغة المنقول إليها كي يحدث لدى المتلقي نفس التأثير الذي يحدث لدى قارئ النص الأصلي، لأن القراء الذين نترجم لهم ليسوا هم أنفسهم قراء النص الأصلي. فالترجمة إذا "لا يمكن أن تتم بمنأى عن المتلقي لأن النص كتب لأجل قراء معينين و عندما نقوم بترجمته فإننا نجتثه من بيئته و نزع به في بيئة ليست بيئته و نضعه بين أيدي قراء جدد لم يكتب لأجلهم، نراي فيه أفق الانتظار و التوقع لديهم"¹. (Israel Fortunato, 1991, op.cit : 18)

المترجم وجمهور القراء:

يضع المترجم نصب عينيه أثناء كل مراحل الترجمة الجمهور الذي يترجم لأجله. فالعلاقة بين الترجمة و الأثر الذي تحدثه في القارئ وطيدة و هي أهم ما يميز ترجمة النص الروائي. إذ أن الرواية أصلية كانت أم مترجمة تحدث ردود أفعال تغلب عليها الذاتية خلافا للنصوص العلمية و القانونية السالفة الذكر التي نتعامل معها بموضوعية تامة. لهذا فإن الترجمة لا تتمثل في المحافظة على مضامين النص و تراكيبه فحسب بل أيضا المحافظة على معناه العام في بيئته و إطاره الزمني و الثقافي و الحضاري. و عملية الترجمة وثيقة الصلة بالثقافة المنقول إليها لأنه " ينبغي ألا تنحصر في إيجاد مقابلات في اللغة المنقول إليها لمفردات اللغة المنقولة. بل تتطلب على وجه الخصوص إيجاد الإمكانية التي من خلالها يمكن نقل أكبر قدر من المعاني الضمنية التي تنطوي عليها لغة الآخر"² (Mariane, Lederer, 1994, 122).

¹ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[La traduction ne peut faire abstraction du destinataire. Un texte a été écrit en fonction d'un d'un public donné. Lorsqu'il est traduit, il se trouve décontextualisé, c'est – à – dire du milieu qui l'a vu naître et projeté vers de nouveaux lecteurs pour lesquels il n'a pas été conçu et dont les besoins doivent aussi être pris en compte]

²ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[...Il ne s'agit pas seulement de savoir quel mot placer dans la langue d'arrivée en correspondance à celui de la langue de départ, mais aussi et

إن قراء الروايات و الأعمال الأدبية المترجمة لا تهمهم كثيرا أمانة الترجمة بالمعنى الذي ذكرناه . أي مطابقة الترجمة للنص الأصلي . بقدر اهتمامهم بالنصوص التي بين أيديهم فيتفاعلون معها سلبا أو إيجابا ، بالرفض أو القبول، بعيدا عن النص الأصلي الذي قد لا يعرفونه. و من هذا المنظور يكون النص المترجم نصا جديدا بالرغم من ارتباطه الوثيق بالنص الأصلي، له منطلقه الخاص به و هوية جديدة. فروايات رشيد بوجدر، مثلا، مترجمة إلى عدة لغات. هل جمهور القراء الذي استقبل أعماله الروائية في اللغة الفرنسية هو نفسه الذي استقبلها في اللغة العربية؟ وهل هو الجمهور نفسه في كل لغة من اللغات التي ترجمت إليها رواياته؟ وهل كان التأثير هو نفسه في جميع تلك اللغات؟ فالترجمة وثيقة الصلة بفعلي القراءة و التلقي للذين يعتبران عمليتين مركبتين و شديدي التعقيد يصعب حصرهما لارتباطهما بالنفس البشرية.

و منه فإن الوفاء للنص الأصلي ليس المقياس الوحيد الذي يجب التركيز عليه للحكم على جودة الترجمة، بل هو جزء من أجزاء النشاط الترجمي. و إذا ما أردنا دراسة ترجمة ما، لا يكون الوفاء للنص الأصلي سوى جانباً من جوانب الدراسة أو ركنا من أركانها بالإضافة إلى دراسة الانزياح أو العدول في النص المترجم و الخروج عن القياس في اللغة المنقول إليها و تفاعل النص المترجم مع البيئة الثقافية المستقبلية ضمن علاقة التأثير و التأثير، و كذا تفاعل جمهور القراء معه عند قراءته من خلال رصد القراءات الجمالية و الفكرية التي يثيرها في البيئة المستقبلية. فلا أحد ينكر مدى تأثير الآداب العالمية في الأدب العربي الحديث عامة، و التغييرات التي أحدثها انفتاحه على الآداب الأخرى في الكتابة الروائية على وجه الخصوص. فقد ظهر التأثير في الأدب المستقبل جليا من خلال التجديد في أساليب الكتابة الروائية و الجرأة في طرح الأفكار و المضامين و الموضوعات من قبل الروائيين حديثا. و المجال لا يتسع هنا للخوض بالتفصيل في التغييرات التي حدثت في الأدب العربي عند انفتاحه على الآداب العالمية، و تكفي الإشارة إلى ظهور القصة و الرواية و المسرح و التغييرات التي طرأت على الشعر العربي نفسه كظهور الشعر الحر مثلا. فقد تغيرت المنظومة الأدبية العربية بشكل جذري خلال القرن العشرين بتأثير النصوص المترجمة. و عليه فإنه لا

surtout de savoir comment faire passer au maximum le monde implicite que recouvre le langage de l'autre]

يمكن دراسة الترجمة بمنأى عن التلقي، خاصة إذا علمنا يقينا أن المترجم لا يعمل بمعزل عن الوسط اللغوي و الثقافي الذي يترجم منه و إليه. فهو الوسيط الذي يعلم مسبقا أن الجمهور الذي يترجم له سيحكم على الثقافة التي جاء منها النص أدبيا و جماليا و أخلاقيا وفق مقاييسه و معاييرهِ هو، بالإضافة إلى حكمه على الترجمة نفسها. و من هنا صار لزاما أن لا ننظر للترجمة من منظور لساني أو لغوي بحت، بل علينا أن نتعامل معها بوصفها علاقة تبادل مثمر بين أدبين و ثقافتين و حضارتين أو أكثر. و منه، علينا أن ننظر للمترجم على أنه وسيط يمد الجسور بين المجتمعات و الثقافات. و لا أحد ينكر أن معرفة لغة أجنبية و إتقان اللغة الأم لا يصنعان مترجما بارعا. فالخبرة بحدود و وسائل التعبير الخاصة بكل لغة و إمكانياتها و فهم الدلالات المختلفة للألفاظ عندما تتغير السياقات التي تستخدم فيها لا تكفي ليكتسب المترجم صفة المبدع بالرغم أنه ينتج نصا جديدا. فبالإضافة إلى الخبرة و الدراية عليه أن يتمتع بعقل متفتح كما عليه أن يكون متسامحا و قابلا الآخر على ما هو عليه من اختلاف. فهذه السمات تحول دون حذف المترجم لبعض المقاطع من النص الأصلي أو إضافة مقاطع أخرى إليه لدواع دينية و سياسية و اجتماعية. و تجدر الإشارة هنا إلى أن تصرّف المترجم في النص بشكل مبالغ فيه يخلّ ببنية و بمقاصد الكاتب الذي ينطق بلسان عصره و يعبر بشكل أو بآخر عن الجو الفكري و الثقافي السائد فيه، فضلا عن حرمانه القارئ من الإطلاع على مادة فكرية غزيرة فينصبّ نفسه وصيا عليه يمدّه بما يراه مناسبا له و يمنع عنه ما يراه مخالفا للأعراف الاجتماعية و التعاليم الدينية و غيرها. و المترجم المبدع هو من يعطي لما يترجمه من روحه و إبداعه كثيرا و من لمساته الشخصية ما يجعله يتفوق أحيانا على المؤلف الأصلي خاصة إذا كان كاتباً معروفا في اللغة التي المنقول إليها.

إن للثقافة باعتبارها " مجموع أنظمة حياتية و فكرية مشتركة بين أفراد مجتمع ما تجعلهم يتصرفون تصرفا واحدا و موحدًا إزاء وضيعات و حالات اجتماعية معينة"¹ (jean-Louis, Cordonier, 2002)، دورا هاما و رئيسيا في

¹ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[...modes de vie et de pensée communs à une communauté donnée et qui conduisent les individus appartenant à cette communauté à agir dans certaines situations sociales d'une façon commune]

ترجمة النصوص التي تكون فيها المتيمات المعرفية بنفس أهمية التعبير اللغوي. و بذلك لا يمكن للترجمة أن تنحصر في بعدها اللغوي والأدبي فقط بل تكتسي بعدا آخر يتمثل في المناقشة الخصبة التي تدفع بالمرجم إلى إدراك خصوصيات كل من الثقافتين المعنيتين بعملية الترجمة ومكوناتهما من "فن وأدب و موسيقى وتقاليده و عادات غذائية ولباس و نظام عمراني و قيم أخلاقية وغيرها" (Mariane, 1), (Lederer, op.cit : 122), إغفالها قد يؤدي بالمرجم إلى انزلاقات خطيرة. ولا يخفى على أحد أنه عليها تتوقف مختلف خيارات المترجم اللغوية والأسلوبية والجمالية و حتى الإيديولوجية منها . فترجمة النص الواحد تختلف من ثقافة إلى أخرى . و يؤكد جورج مونان في كتابه حول "المشاكل النظرية للترجمة" أنه " يجب أن يتوفر لدينا شرطان أساسيان متكاملان كي نترجم من لغة أجنبية هما الإلمام بتلك اللغة و الدراية بأصول المجتمع الذي يتكلمها دراية منهجية منظمة. و إن لم تستوف ترجمتنا هذين الشرطين فإنها منقوصة لا محالة" ² (Georges Mounin, Gallimard, p 236).

لقد اشتغل أوجين ألبرت نيدا الذي يعتبره الكثير من دارسي الترجمة أب الدراسات الترجمة الحديثة على صعوبة نقل الشحنات الثقافية بين اللغات المتميزة بثقافات مختلفة تماما. فهو يرى أن الترجمة انتقال من عالم إثنوغرافي (Monde ethnographique) إلى عالم إثنوغرافي آخر. و يصنّف نيدا المشكلات التي يثيرها البحث عن المكافئات الطبيعية في مجالات خمسة هي: البيئة و الثقافة المادية و الثقافة الاجتماعية و الثقافة الدينية و أخيرا الثقافة اللغوية. فأما اختلافات الثقافة البيئية فيعني بها الظروف الطبيعية و المناخية و التضاريس و غيرها التي تشكل البيئة العامة و الإطار المعيشي لمجتمعات دون أخرى. قد تفتقر

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Art, littérature, musique, coutumes, nourriture, vêtements, logement, mœurs, traditions ...]

² ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Pour traduire d'une langue étrangère, il faut remplir deux conditions, dont chacune est nécessaire, et dont aucune en soi n'est suffisante: étudier la langue étrangère; étudier (systématiquement) l'ethnographie de la communauté dont cette langue traduite est l'expression. Nulle traduction n'est totalement adéquate si cette double condition n'est pas satisfaite]

مجتمعات لمفردات و عبارات تعبر عن تضاريس أو ظروف مناخية معيّنة بينما تزخر لغات مجتمعات أخرى بالمفردات والمصطلحات المعبرة عنها. فهناك من المجتمعات ما يعرف للسنة فصلين فقط و هما فصل الرطوبة و فصل الجفاف كما هو الحال بالنسبة للمايا بأمريكا اللاتينية بينما تعرف باقي شعوب العالم الفصول الأربعة. و كيف يمكن أن نترجم معاني " بحيرة" و " جدول ماء" إلى شعوب لا تعرف البحيرات و جداول المياه؟

و من الأمثلة التي يمكن أن نسوقها في هذا السياق أيضا هو أنه لدى سكان المناطق الباردة شمال كندا مصطلحات كثيرة للدلالة على الثلج في مختلف حالاته وصوره هي : Frost, chill, cold, hail, snowflake, blizzard, snowstorm, snowfall, whiteout, black ice, sleet و هي ألفاظ تفيد جميعها عن شيء واحد هو الثلج بينما تكتفي باقي المجتمعات بتسميتين فقط هما " الثلج" و " الجليد". و كذلك سكان المناطق الحارة كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات العربية القديمة التي تطلق على الصحراء : " البرية، الجبان، الجبانة، الدشت، الفيفاء، الفلاة، المفازة، السهب، البوابة، البيداء، المتلف، التنوفة، البلاليق، السبب، المهلكة" و ذلك للارتباط الوثيق بين اللغة العربية و البيئة الصحراوية التي يعيش فيها العرب على اختلاف أنماط معيشتهم. و غير ذلك من الأمثلة كثير خاصة فيما يتعلق بتسميات الحيوانات البرية كالغزال و الوحوش الضارية كالأسد أو الحيوانات الأليفة التي اعتمد عليها الإنسان العربي في حلّه و ترحاله و حربه و سلمه كالجمل و الخيل... إلخ و الفكرة هنا هي أن البيئة تدفع اللغة إلى إنتاج الألفاظ و المصطلحات الضرورية للتعبير عنها.

أما الثقافة المادية فيقصد بها التكنولوجيا و كل ما يؤثر به الإنسان في العالم المحيط به بواسطة الآلة و الأعمال المادية. فالمصطلحات الزراعية و تسميات الأدوات و الآلات الزراعية يصعب تصورها بالنسبة لشعوب كاملة لا تعرف الزراعة. و من أمثلة صعوبة نقل الثقافة المادية اختلاف وحدات القياس: الياردة (0.914 متر) و الكيلومتر (1000 متر) و الميل الأرضي و الميل البحري (1854.18م) و الفرس (مقياس روسي : 1067 متر) و الغلوة (مقياس يوناني يتراوح بين 147 و 192 متر) و الغالون (مقياس انجليزي : 4.546 لتر و 3.785 لتر في الولايات المتحدة الأمريكية).

أما الثقافة الاجتماعية فتتعلق بالعلاقات الاجتماعية و النظام الاجتماعي السائد. فمفهوم "الأسرة" مثلاً يختلف من نظام اجتماعي إلى آخر وينتج عنه اختلاف في مفهوم "العصمة". بالإضافة إلى تسميات أنواع الأكل أو وصف الأعياد والمناسبات السارة و الأليمة و التقاليد والأعراف الاجتماعية.

أما الثقافة الدينية فهي تمثل الميدان المثالي لتكريس الاختلاف الحضاري فكلمات من قبيل صلاة، زكاة، قيامة لا تجد مقابلاً طبيعياً لها في اللغة الفرنسية و السبب في ذلك هو اختلاف الإطار الديني الذي توظف فيه تلك الكلمات. وترجمتها تعتمد على ميولات المترجم الدينية و معتقداته. هذا فضلاً عن اختلاف المفاهيم الدينية الواحدة باختلاف المذاهب أو الفرق الدينية كما هو الحال بالنسبة لمفهوم الإمامة عند أهل السنة و الشيعة. هذا بالإضافة الألفاظ و العبارات التي تعتبرها مجتمعات صادمة و ترى أنها تخدش الحياء بينما تراها مجتمعات أخرى عادية و مقبولة الاستعمال. نستدل في ذلك بالأفلام الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية التي تحتوي على مغالطات كبيرة فتحذف مشاهد و مقاطع حوارية بداعي مراعاة ذوق المتلقي أو الذوق العام و عدم المساس بما هو مقدس أو محرم لديه، أو حتى مراعاةً للجانب التجاري.

و تتمثل الثقافة اللغوية في كيفيات استعمال اللغة في وضعيات مختلفة بين المجتمعات أو حتى المجموعات البشرية داخل المجتمع الواحد. فلكل مجموعة معاييرها اللغوية الخاصة و لكل مجتمع قوانينه اللغوية التي تنمط السلوك اللغوي كالتمييز بين الكلمات المجردة والكلمات الملموسة و الأشياء القابلة للعد و الأشياء غير القابلة للعد و الاختلاف في التذكير و التأنيث و في العدد و غيرها. فاللغة العربية تميّز على سبيل المثال بين المفرد و المثنى و الجمع بينما تميّز الفرنسية بين المفرد *Singulier* و الجمع *pluriel* و تحتاج للتعبير عن المثنى إلى توظيف كلمة "deux" لتحديد ذلك العدد.

و قد ظهرت النية في التحرر من هيمنة النظريات اللسانية على الدراسات الترجمة خلال السبعينات و الثمانينات من القرن الماضي من خلال أعمال إيفان زوهار 1978 ثم جدعون توري 1980 ضمن نظرية النسق المتعدد المشار إليها أنفاً، إيماناً منها بأنها اهتمت بالكلمة باعتبارها وحدة ترجمة و بالبنى اللغوية، و رأياً في ذلك إجحافاً في حق الدراسات الترجمة و علم الترجمة. كما دعياً إلى دراسة الترجمة بالنظر إلى ما وراء اللغة و أخذ السياق الثقافي بعين الاعتبار أثناء الأداء الترجمي و ركزا على تفاعل الثقافات فيما بينها تأثراً و تأثيراً من خلال اللغة و الأدب و الترجمة. فالثقافة تملّي على

المترجم السياق و التاريخ وترسم له ذوق الجمهور و إيديولوجية المؤلف. كما تتدخل في المرحلة الأخيرة من النشاط الترجمي المتمثلة في إعادة الصياغة والكتابة. فبالإضافة إلى ما يجب أن يتحلى به المترجم من ذكاء و فطنة و حس مرهف و تمكن من ملكة الكتابة عليه أن يحسم في اختيار التراكيب و الصيغ و الكلمات و عليه أن يحسن استعمال كل الإمكانيات التي تتيحها اللغة المنقول إليها. و في هذه المرحلة بالذات تكمن حرية المترجم الذي يضفي على النص شيئا من ذاتيته و حدسه و إبداعاته فيصبح بذلك فاعلا في النص، تبرز من خلال عملية الترجمة معالم شخصيته و مدى إدراكه للفوارق الثقافية. " فوراء العمل المرئي و نعي بذلك النسخة المترجمة تظهر تلك الجوانب الخفية التي تشكل مجمل الإضافات التي جاء بها المترجم" ¹ (Dalila Arezki, colloque Langue, Cultures et Traduction, 2001).

الترجمة و الخيانة الدالة:

لا نقصد بالخيانة التأكيد على تلك المقولة القائلة بأن كل ترجمان خائن خوان " Traduttore traditore" التي تجعل من الفعل الترجمي عملا موسوما حتما بعلامات خيانة النص الأصلي. و فكرة الخيانة في ترجمة النصوص الأدبية فكرة كثيرة التداول تكبح جماح كل من يروم فهم النص المترجم بأبعاده الجمالية و الأدبية و تنزيله في إطار الحوار بين الثقافات و الحضارات. إن الترجمة الأدبية لا يمكن أن ينظر إليها على أنها عمل ترجمي يتسم بالموضوعية و الشمول و الكمال و لا على أنها خيانة لشكل النص و روحه معا. بل إنها و من خلال ذاتيتها تأليف جديد باللغة المترجم إليها و بذلك تصبح قراءة الأثر الأدبي بغرض ترجمته تأويلا شخصيا مرتبطا بالمترجم لا بغيره. و ملكة الإبداع عند المترجم تتخذ لها مكانة هامة في عملية الترجمة. أليس المترجم في نهاية الأمر إنسانا مرهف الحس يتأثر بما يتلقاه و يؤثر بدوره في محيطه؟ فبالإضافة إلى العوامل اللغوية و الاجتماعية و الثقافية التي تحدد المنحى الذي ستخذه الترجمة، يترك المترجم بصماته في الأثر الأدبي من خلال النسخة المترجمة.

أن نقر للنص بعدا تعبيريما يجعلنا نقرأ أيضا و بالضرورة أن ترجمته إنما هي تأليف جديد له و أن كل قراءة للنص هي تصور جديد له. و المترجم في تعامله مع

¹ ورد النص بالفرنسية كالآتي :

[Derrière le visible – soit la version d'un texte – il ya l'invisible – soit la part apportée par le traducteur]

النص قارئ من نوع خاص يسمح لنفسه بقدر من الحرية أثناء الترجمة. وهنا تتفجر في حقيقة الأمر كل مواهب المترجم وقدراته الإبداعية مستغلا كل الاستغلال إمكانات اللغة ودررها المكنونة. ولا مجال للشك إذا في أن الترجمة في هذه الحالة بالذات على الأقل تتحول إلى إعادة كتابة وتأليف جديد. ولا يمكن أن ينظر إليها على أنها تشويه للأصل ولا خيانة له، بل على أنها إبداع جديد نابع من قراءات شخصية وذاتية للنص الأصل لتصبح الترجمة، في نهاية المطاف، مجالا واسعا للتبادل و التمازج فيما بين ثقافات تؤثر وتتأثر.

إن اعتبار ترجمة النصوص الأدبية عملا موضوعيا صرفا يبدو أمرا مستبعدا تماما لأن الترجمة ليست عملية رياضية أو علمية يتم من خلالها نقل كلمات من لغة ما إلى لغة أخرى على اعتبار أن للكلمة جملة من الخصائص المعنوية تميزها عن باقي الكلمات. ففي ذلك نظرة للترجمة لا تدع مجالا للإبداع. وما التغيير والحذف والإضافة وضياح بعض جوانب المعاني إلا دليل على أن الموضوعية في الترجمة غاية بعيدة المنال إن لم نقل مستحيلة. ولو أراد المترجم أن يبقى محايدا و موضوعيا لما أمكنه ذلك، فذاتيته ستطفو وتتجلى بوضوح خلال عملية الترجمة.

وفي الأخير، لعلنا لا نضيف شيئا إن قلنا إن الترجمة الأدبية ليست علما من العلوم الدقيقة. ولنا في إخفاق محاولات الترجمة الآلية مثلا يدفعنا إلى إمعان النظر في الجانب الإبداعي للمترجم. وجميع ما ذكرنا لا يقتضي من المترجم أن يجد المقابل الكفء للنص الأصل فحسب بل كثيرا ما تقتضي منه الترجمة أن يقوم بعمل لغوي شخصي يتمثل في البحث عن العبارات والألفاظ والحلول لإشكالات قد تواجهه خلال عملية الترجمة، في بطون القواميس وأمهات الكتب لإحيائها وطرحها للتداول من جديد.

الخلاصة:

نخلص إلى القول إنه لا يمكن لترجمة النصوص الأدبية أن تكون ترجمة لصيقة بالنص الأصلي خاضعة له بل يستحب ويحبذ أن تكون حرة على أن ترسم لها حدودا وخطوطا حمراء لا تتجاوزها. وبعبارة أخرى فإن كان ينبغي للترجمة الأدبية ألا تكون ترجمة حرفية وإن كان على المترجم أن يكون واسع الخيال خلاقا ومبدعا فإنها في المقابل ليست عملا اعتباطيا وضربا من ضروب الارتجال بل هي نشاط يلتزم فيه المترجم ببعض الضوابط لعل أهمها احترام " تلك الفوارق المتعارف عليها بين

اللغات " ¹ (Jean Darbelnet, op.cit : 88) و المجتمعات الناطقة بها. و احترام صاحب النص الأصل فلا يكتف صوته و لا ينصب نفسه أديبا مكانه. و قد توصل جورج مونان إلى أن نجاح الترجمة ليس كليا و لا مستحيلا بل هونسي و متغير في مستويات التواصل التي يبلغها. وليست الغاية من الترجمة الأدبية الخضوع للشكل وجوبا أو إغفاله تماما و لا تقديم الفكرة على الشكل أو العكس بقدر ما تبقى غاية المترجم و مبتغاه التوصل إلى إنتاج نصوص يتقاسم فيها الشكل و المحتوى الأهمية نفسها.

و من هنا تتجلى أهمية الدور الذي يضطلع به المترجم. فنجاح الترجمة أو فشلها منوط بفهم المترجم الخطاب في سياقه الثقافي و الحضاري و الاجتماعي فهما دقيقا. وكلما كانت الإحاطة بهذه السياقات دقيقة و متجذرة كلما كان الفعل الترجمي أقرب منالا و أدعى إلى تمثيل النص تمثيلا صادقا . و هكذا تفتح الترجمة آفاقا جديدة أمام النص الأدبي فتسمح له أن يبعث من جديد زمانا و مكانا ولغة. و في نهاية المطاف لا يسعنا إلا أن نقول إن الترجمة الأدبية ليست هينة، سهلة القيادة و إنما هي نشاط معقد و متعدد المشارب و قراءة خصبة للنص الأصل نجاحها أو إخفاقها متوقف على فهم خطاب النص الأصلي و متوقف كذلك على قدرة المترجم على نقله إلى لغة أخرى يتقنها. و رغم هذه النسبية في النجاح و رغم الصعوبات التي تحول دون بلوغ الترجمة الأدبية درجة الكمال فإنها تبقى وجها من وجوه الإبداع تنتج نصا لا يطابق النص الأصلي كل المطابقة و لا يختلف عنه كل الاختلاف.

ورد النص بالفرنسية كالآتي : ¹

[L'obligation de respecter les différences dûment reconnues entre les langues]

المراجع:

- Adonis, 1987 « Modes de pensée, mode d'expression: de l'arabe au français, du français à l'arabe. » Table ronde présidée par André MIQUEL. *Actes des troisièmes Assises de la traduction littéraire*, Arles 1986, Actes Sud.
- CORDONIER Jean-Louis, 2002 « Aspects culturels de la traduction: quelques notions clés », *Meta XLVII*,.
- CORMIER Monique, 1991 « La notion de "liberté" dans l'apprentissage de la traduction ». In *La liberté en traduction*, Paris, Didier Erudition,
- DARBELNET Jean, 1970 "Traduction littérale ou traduction libre?", *Meta* vol 15 n°2, juin 1970
- Hersent Jean-François, 2003 "Traduire ou la rencontre entre les cultures". In *Littératures Étrangères*, PP 56 – 60, t 48, n°5 Paris.
- Idjer Yacine, « Les limites de la traduction. » *Liberté* du 22 / 01 /2003.
- Israel Fortunato, 1991 "Traduction littéraire: L'appropriation du texte". In *La liberté en traduction*, Didier Érudition.
- Kazi-Tani, Nora, 2002 " Traduction, idiolecte et ancrage historique dans le texte littéraire"/ In *Cahiers de traduction* (Journées d'études sur la traduction 20 – 21 Avril 2002), Département d'Interprétariat et de Traduction, Faculté des Lettres et des Langues – Université d'Alger.
- LEDERER Mariane, 1994 *La Traduction aujourd'hui*, Paris, Hachette, F.L.E.
- MOUNIN Georges, 1963 *Les Problèmes théoriques de la traduction*. Paris, Gallimard.
- MOUNIN, Georges 1976 *Linguistique et traduction*, Dessart et Madraga. Bruxelles.
- LE PETIT ROBERT, 1992 (dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française), Paris édition DICTIONNAIRES LE ROBERT.

- ابن منظور، لسان العرب دارصادر، بيروت، 1968 مج 12
- بحري محمد الأمين " دور المترجم بين تقنيات الترجمة و واجبات الحضارة" ندوة حول أهمية الترجمة و شروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، 2004. ص ص 445-478
- بن دالي حسين محمد شريف " الترجمة و الثقافة". دفاثر الترجمة، يومين دراسيين حول الترجمة 20 – 21 أفريل 2002 لغات – ثقافات و ترجمات ، قسم الترجمة ، كلية الآداب و اللغات - جامعة الجزائر.
- بودريالة الطيب " ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية" ، ندوة حول أهمية الترجمة و شروط إحيائها ، المجلس الأعلى للغة العربية، 2004. ص ص 107 – 126
- ساير إدوارد ، اللغة و الأدب، من كتاب : اللغة و الخطاب الأدبي ، ص 30
- السيد غسان، " الترجمة الأدبية و الأدب المقارن"، مجلة جامعة دمشق - مج 23 – ع 1 2007
- موانان جورج، "المسائل النظرية في الترجمة" , تر لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى 1994
- مطهري صفية ، " الترجمة و الدلالة" ، ندوة حول أهمية الترجمة و شروط إحيائها ، المجلس الأعلى للغة العربية، 2004. ص ص 561 – 577
- مقنونيف شعيب " حول ثقافة المترجم" ، ندوة أهمية الترجمة و شروط إحيائها ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2004. ص ص 479-505
- النحاس الحمصي محمد نبيل، " الترجمة و التأويل، الترجمة : نقل للعلامات اللغوية أم صياغة جديدة" . ترجمة الفصل الأول " Transcoder ou réexprimer " من كتاب " Interpréter pour traduire " لمؤلفتيه دانيكا سيليسكوفيتش و ماريان لوديرير، منشورات السوربون ، ط 3، 1993